Diaa Al-Fekr Journal for Research and Studies

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

Journal Homepage: https://ojs.diaalfekr.com/index.php/sjlb

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

Vol. 1, Issue 8, 2025, pp. 81 – 94

الرؤية العربية الرافضة للاستشراق

The Arab Perspective Rejecting Orientalism

DOI: https://doi.org/10.71090/rsk1hh40

حمزة، فاطمة حسن وحمادي، طراد. (٢٠٢٥). الرؤية العربية الرافضة للاستشراق، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات، المجلد (١)، العدد (٨)، ص ص. ٨١ – ٩٤. https://doi.org/10.71090/rsk1hh40

الرؤية العربية الرافضة للاستشراق

The Arab Perspective Rejecting Orientalism

أ. فاطمة حسن حمزة*

أ. د. طراد كنج حمادي*

Fatima Hassan Hamza *

Prof. Dr. Trad Kanj Hamade *

الملخّص:

إن ظاهرة الاستشراق حركة فكرية لعبت دورًا كبيرًا في الفكر والأدب العربيين قديمًا وحديثًا، ثم إن الاستشراق في حد ذاته يحاول بكل ما له من وسائل ودقة وأفكار أن يفرض مفاهيمه على العالم العربي الإسلامي. وقد رأينا العديد من العلماء والأدباء قد تتلمذوا على أيدي كبار علماء الاستشراق، فتبعوا أفكارهم، وتظرياتهم، وفي المقابل رفض العديد من العلماء أفكار المستشرقين ونظرياتهم ومناهجمهم.

ومن خلال تتبّع كتابات المثقفين والباحثين العرب الذين نقدوا الاستشراق تحت عناوين مختلفة، نجد أنها تجتمع في رؤية واحدة تقوم على اعتبار الاستشراق غزوًا فكريًا وهجومًا على الإسلام، بدءًا من القرآن الكريم بوصفه الرسالة السماوية الخاتمة، وامتد إلى السنّة النبوية الشريفة، في محاولةٍ لتفتيت وحدة المسلمين وإضعافهم. وقد شكّلت الأكثرية الساحقة من الأرقام العربية والرأي العام في المنطقة، أمثال شكيب ارسلان، أحمد فارس الشدياق، أنور نجدي، مالك بن نبي، فهؤلاء الذين تصدّوا للاستشراق وحاولوا النيل منه وتبيان مغالطات أصحابه.

وينطلق هذا البحث من مرحلة الدفاع عن الهوية وصولًا إلى مرحلة النقد البنّاء والفكر الواعي، متناولًا جهود عددٍ من المفكرين العرب الذين أسهموا في توضيح هذا الموقف، غير أن المواجهة – كما يراها هؤلاء المفكرون – لا تكون بالشحن العاطفي، بل عبر بناء معرفة عربية مستقلة تستند إلى التراث والعقل النقدي، وتعيد للإنسان العربي وعيه بهويته الثقافية ومكانته الحضارية في العالم.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الرؤية العربية، الموقف الرافض.

* كلية الدراسات الإسلامية/ الجامعة الإسلامية في لبنان.

Email: fatimahamze4336@gmail.com

* Faculty of Islamic Studies/ Islamic University of Lebanon.

* الجامعة اللبنانية.

Email: tradhamade@hotmail.com

* Lebanese University.

Abstract:

The phenomenon of Orientalism is an intellectual movement that has played a major role in shaping Arab thought and literature, both in the past and the present. Orientalism, in essence, seeks through its various means, methods, and ideas to impose its concepts upon the Arab-Islamic world. Many Arab scholars and writers studied under prominent Orientalists, adopting their ideas and theories; however, numerous others firmly rejected the Orientalists' views, methodologies, and intellectual approaches.

By tracing the writings of Arab intellectuals and researchers who have criticized Orientalism under various titles, it becomes evident that they share a common perspective—viewing Orientalism as a form of intellectual invasion and an attack on Islam. This began with criticism of the Holy Qur'an, as the final divine revelation, and extended to the noble Prophetic Sunnah, aiming to fragment Muslim unity and weaken their cultural and spiritual strength.

A large number of Arab thinkers and public figures—such as Shakib Arslan, Ahmad Faris al-Shidyaq, Anwar Najdi, and Malik Bennabi—stood in opposition to Orientalism, exposing its misconceptions and biases.

This study moves from the stage of defending identity to that of constructive criticism and conscious intellectual engagement. It explores the efforts of several Arab thinkers who contributed to clarifying this stance, emphasizing that confrontation, as they see it, should not rely on emotional reactions, but rather on building an independent Arab knowledge system grounded in heritage and critical reason—one that restores the Arab individual's awareness of his cultural identity and civilizational role in the world.

Keywords: Orientalism, Arab Perspective, Rejectionist Stance.

المقدّمة:

تُعدّ دراسة موقف الكتّاب والمفكّرين العرب من اتجاهات حركة الاستشراق من الموضوعات الفكرية المهمة التي تكشف عن طبيعة التفاعل العربي مع الفكر الغربي. فمن خلال تتبّع مسار هذا الموقف، يتبيّن أنه لم يكن موحّدًا، بل اتّخذ أشكالًا متعدّدة تميّزت كلٌّ منها بمنهجها وأسلوبها في التعامل مع الظاهرة الاستشراقية؛ إذ انقسم المفكّرون العرب بين مؤيّدٍ للاستشراق ومناهجه، متأثّر بما قدّمه من دراسات وأبحاث، وبين معارضٍ له رآه وسيلةً للهيمنة الفكرية والتشويه الثقافي.

من أبرز المفكرين الرافضين: **شكيب أرسلان**، الذي اعتبر الاستشراق جزءًا من الغزو الثقافي؛ **مالك بن نبي**، الذي ركّز على تأثيره في استمرار التبعية الفكرية للعرب؛ بالإضافة إلى **أنور نجدي** و**أحمد فارس الشدياق**، اللذين كشفا في كتاباتهما عن الأخطاء والمغالطات في الدراسات الاستشراقية. وأكد مفكرون

معاصرون مثل **إدوارد سعيد** أن الخطاب الاستشراقي يقوم على رؤية استعلائية تصوّر الشرق على أنه كيان بحاجة إلى توجيه الغرب وحكمه الفكري.

ويمثّل هذا الموقف الرافض مرحلةً مهمة في الوعي العربي الحديث، إذ لم يقتصر على النقد العاطفي، بل تطوّر إلى نقد علميٍّ منهجيّ كشف عن تناقضات الفكر الاستشراقي ومواطن التحيّز فيه، وسعى إلى بناء معرفةٍ عربيةٍ أصيلة تستند إلى التراث والعقل النقدي، وتُعيد للعرب ثقتهم بقدرتهم على تمثيل أنفسهم حضاريًّا أمام العالم.

ومع ذلك، فإن أعمال بعض المفكّرين العرب لم تَخلُ من مواطن الضعف أو النقص، نتيجة تأثرهم بالمناهج الاستشراقية أو تبنّيهم بعض مفاهيمها. ويُذكر من بين هؤلاء محمد درك علي، وعبد الرحمن البدوي، ونجيب العقيقي، وطه حسين عميد الأدب العربي، وغيرهم من رموز الأدب العربي الحديث وروّاد النهضة الفكرية[١].

الإشكالية والفرضيات:

تتمحور الإشكالية حول كيفية تشكُّل الموقف العربي الرافض للاستشراق، وأسباب الرفض، بين الرفض العاطفي والنقدي الفكري الواعي. فهل الرفض العربي للاستشراق هو رد فعل عاطفي على الخطاب الديني؟ أم هو مشروع مستقل يسعى إلى استعادة الهوية الثقافية العربية في مواجهة الهيمنة الفكرية الغربية؟

الفرضيات:

الموقف العربي الرافض للاستشراق جاء نتيجة تشويه صورة الإسلام، ونقل صورة الإسلام للعالم الغربي بطريقة أخرى، ما دفع بعض الباحثين للدفاع عن الهوية الإسلامية، أو لبناء معرفة عربية مستقلة عن المناهج الغربية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كشف دوافع الرفض العربي للاستشراق وفهم أثره في تشكيل الوعي الثقافي العربي والإسلامي.

[١] منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، ص ٦٥.

الدراسات السابقة:

دراسة مالك بن نبي بعنوان: إنتاج المستشرقين[١]

عالج البحث صنفًا من أصناف المستشرقين المادحين للحضارة الإسلامية، وكيف شغلوا عقول المفكرين المسلمين في الانبهار في أمرين: بالتراث الإسلامي، وانبهارهم بالحضارة الغربية مما وصلت إليه من تقدم في كافة مجالات الحياة.

ووضع المفكر حلولًا لتجاوز هذه العقبات ومنها الوصول إلى استقلال العرب الفكري للوصول إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي مستدلًا بذلك على قصة علي بن أبي طالب الذي خالف رأي المنجم في معركة النهروان، وكان له القرار لا لغيره.

مفاهيم البحث:

أولًا: مفهوم الاستشراق (Orientalism):

يعرّف بعض المفسّرين مفهوم الاستشراق بأنه "ذلك التيار الفكري الذي تمثَّل في الدراسات المختلفة عن االشرق الإسلامي، والتي تشمل الآداب والأديان والثقافة الشرقية".[٢]

وكما يقول (مكسيم رودنسون Maxime Rodinson) "هو ذلك التيار الفكري الذي تمثّل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته".[٣]

فمفهوم الاستشراق يدلّ بشكل عام، على أنه أسلوب قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، يستخدمه علماء غربيين في الدراسات الأكاديمية التي تتناول الحضارة الإسلامية من مختلف الجوانب، الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية.

ثانيًا: الاستشراق وأثره على الفِكر العربي:

تمثّل الدراسات الاستشراقية في العالم العربي والإسلامي مجالًا واسعًا، حيث تناولوا في أبحاثهم التاريخ العربي والإسلامي علوم وحضارة الإسلام، بالإضافة إلى فقه اللغة العربية، وآدابها، والنحو العربي، ودراسات تتعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية، حيث بلغ ما ألفوه حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتابًا.

[١] مالك بن نبي، من كتاب "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث".
[٢] عبدالله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ١٦.
[٣] جوزيف شاخت، بوزورث، كليفورد: تراث الإسلام، ج١، ص٦٤ .

فهذه الظاهرة الفكرية لعبت دورًا كبيرًا في الفكر والأدب العربيين قديمًا وحديثًا، ثم أن الاستشراق في حدّ ذاته يحاول بكل ما له من وسائل وقوة أفكار أن يفرض مفاهيمه على العالم العربي الإسلامي بأسره، وقد رأينا أن كثيرًا من علمائنا ومفكرينا وأدبائنا قد تعلموا على أيدي كبار علماء الاستشراق، فتبعوا أفكارهم ونظرياتهم، بينما في الجهة المقابلة هناك رفض وتعصب لأفكارهم ونظرياتهم ومناهجهم.

وهذه الجهة التي أبدت وجهات نظر المستشرقين وسلمت بأفكارهم ونظرياتهم فقد أغدقت على كتاباتهم كيلًا من المديح والإفراط، ونادت بالغرب وثقافته منهم طه حسين، حسين فوزي، وغيرهم. هذه النماذج دعت إلى الأخذ بحضارة الغرب لأنها حضارة التطور والتقدم.

ونظرًا لابتعاد المسلمين عن عقيدتهم وفأصبحوا بهذا الصدد صيدًا ثمينًا دون معرفة الصياد، وهذا الصياد هو الغزو الفكري والاستشراقي الذي يتخذ المسلمين ويجعلهم يتخبطون ببعضهم البعض، وينشر العداوة بينهم، وبهذا نستدل بقول نبي الأمة الإسلامية "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصمتها، قالوا من قلة نحن يا رسول الله؟ بل أنتم يومئذ كثيرًا، ومنهم غطاء السيل" [١].

ثالثًا: الرؤية العربية الرافضة للاستشراق:

لقد تناولت الدراسات الاستشراقية في العالم الإسلامي أعمالًا وُصفت بالرفض من قِبَل أعداء الإسلام، إذ تُعدّ هذه القضية متعددة الأبعاد، لأن لها تشعّبات فكرية وحركية واجتماعية، تهدف في مجملها إلى الوصول إلى مواقف صحيحة في مواجهة التيارات المعادية. وفي هذا الصدد يقول محمد زقزوق "إن من أخطر الأمور في ديننا وثقافتنا وحضارتنا وفكرنا أن نقف موقفًا سلبيًا من الاستشراق، لأننا إن فعلنا ذلك فقد ضاعت علينا فرصة المواجهة والتحدي وإثبات الذات في حياةٍ جديرةٍ بأن تُعاش، لا أن نعيشها على هامش التاريخ" [٢].

فموقفه من الاستشراق إذًا هو موقف معادٍ للاستشراق الهادف إلى خدمة مصالح وأهداف غربية، إذ يرى أن كل ما يصدر عنه إنما يأتي في إطار الانتماء لتلك المصالح، ومعادٍ للعرب بصورةٍ مشبوهةٍ وخبيثة.

[١] الطبراني، المعجم الكبير ج ١٧، ص ٨٨.
[٢] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري، ص ١٢.

وقد وقف على هذه الإشكالية مجموعة من المفكرين المسلمين الذين لم يتبنّوا موقف الرفض المطلق، بل قبلوا بوجود إسهامٍ ما في الدراسات الاستشراقية الأكاديمية في الجامعات، ودعوا إلى الإفادة منها في تطوير الثقافة الإسلامية.

ويرى هذا الفريق الرافض أن الاستشراق لم يكن علمًا موضوعيًا، بل هو انعكاسٌ للموقف الأوروبي وللعقلية الأوروبية تجاه الشرق، وهو في جوهره الصورة التي توصّل إليها الغرب عن الشرق. فالاستشراق – في نظرهم – لم يكن نتاجًا علميًا خالصًا، بل كان يعكس رؤية أوروبا لتاريخنا وثقافتنا وحضارتنا واقتصادنا. وكيف يمكن لمن لا يُحسن لغة الشرق، ومعظمهم من الدارسين الأجانب، أن يتحدث بموضوعية عن ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا؟[١]

فالاستشراق من استعماري قديم يرمي بالدرجة الأولى إلى تمهيد السبل للسيطرة على البلاد الإسلامية، وإخضاعها للمستعمر من جهة، ونقل صورة عن واقع تاريخ الإسلام والمسلمين إلى العالم الغربي من جهة أخرى.

فإن هدف المستشرقين المقصود والأمل المرغوب منه، والذي تسعى للوصول إليه المؤسسات الاستشراقية والأجهزة الاستخبارية للتفسير وإخراج المسلمين من دينهم وتراهم بلا هوية ولا دين.

وكما يرى عبد الجليل من موقفه الرافض "الغزو الاستشراقي ضايق الكثيرين وأنهم كانوا ينشدون من يدفع هذا الهجوم ويرد عن الإسلام هذه المفتريات".[٢]

فكتابات المستشرقين عن الإسلام لم تكن علمية ولا بحوثًا تتوخى حقائق التاريخ، وإنما كانت سلاحًا من أسلحة الدعاية الحربية.[٣]

لذلك حدَّ المستشرقون على ترويج الأكاذيب ومختلقات عن الإسلام، وفي هذا يؤكد الكاتب عبد الجليل عبدة شلبي "ومما لا ريب فيه أن المستشرقين اليوم تغيّروا تغيرًا عن موقفهم بالأمس، ولكن هذا التغيّر يبدو في التخلي عن الأكاذيب والاختلاقات، وليس ثمة تخلٍ عن طعن الإسلام، ونلمس مواطن للجهوم عليه منها.[٤]

[١] محمود حمدي زقزوق، المصدر السابق، ص ١٢٩.
[٢] عبد الجليل عبدة شلبي، صور استشراقية، الكتاب الأول سلسلة البحوث الإسلامية، ص ١٧.
[٣] علي بن ابراهيم النملة، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، استقراء المواقف، سلسلة ٢، ص ٢٠.
[٤] عبد الجليل عبدة شلبي، صور استشراقية، المصدر السابق.

يوضح لنا المؤرخ الجزائري **أبو قاسم سعدالله**" :إن اهتمام مفكري الغرب ينصبّ حول التكلّم عن الدين الإسلامي، ومحاولة التشكيك فيه والتركيز على جوانب الضعف. أما مفكرو العرب الذين يحضرون المؤتمرات الغربية، فلما يتحدثون عن أمور تهم الحضارة الإسلامية، لعلها تغيّر تفكير العرب. وفي هذا يقول سعدالله: "إنه حضر مؤتمرًا عن تاريخ الحضارة، وكانت موضوعات المؤتمر قد شملت كل مظاهر التطور الإنساني، وقد اجتمع حول هذا الموضوع عدد من المستشرقين الذين يقتبسون الكلام من نظام الموالي في الإسلام، وعلاقة العبد بالسيد، وكانوا يظهرون جوانب الضعف في نظرهم للحضارة الإسلامية، مثل تعدد الزوجات. ولقد بدا أن الباحثين في القاعات الأخرى من ذلك المؤتمر كانوا يتحدثون عن معاملة الرومان لما للشعوب التي خضعت لهم، على أنها دليل على الصفاء والقوة".[١]

هذا يعاب على كثير من أدباء العرب، فواجب عليهم تغيير نظرة العالم الغربي للعالم العربي الإسلامي، فهناك رموز أدبية أساسية نادت بالغرب وارتبطت بثقافة "طه حسين"، و"حسين فوزي" وغيرهم، وكلهم دعوا للأخذ بحضارة الغرب، لأنها حضارة التطور والتقدم. لكن لا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء المفكرين العرب كان دعمهم للحضارة الغربية ولأفكارها إغراءات مادية ومعنوية.

فأوروبا ما زالت ولا زالت تحارب الدين "واستمر الفكر الاستشراقي في شبهاته لعله يستطيع تحقيق أهدافه، التي صرّح بها كثير من كبرائه وهو (هاملتون غب Hamilton A. R. Gibb) مهمة الاستشراق هو إبعاد سلطان الدين عن سلطان النفوس".[٢]

إذن، فإن هدف الاستشراق هدفه إبعاد سلطان الدين عن نفوس الناس، بمعنى آخر، نشر العلمانية، لذلك تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية، وتطبيقها على المسلمين بدلًا من شريعة القرآن والسنة. والواقع أن هذه المحاولة ترمي إلى خلق خلاف بين المسلم ودينه، والدين هو أساس المسلم العربي، يقول عابد بن محمد السفياني "إن أعظم ما اهتم به المستشرقون في دراستهم من الموضوعات، هو الشريعة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أن شبهاتهم التي نشروها عن طريق التعليم تدور حول فصل الدين عن الحياة، وإضعاف سلطانه عن النفوس.[٣]

[١] أبو القاسم سعدالله، في الجدل الثقافي، آراء ومناقشات لقضايا فكرية وثقافية وأدبية، ص ٢٤١.
[٢] نقلا عن: عابد بن محمد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها: دراسة وتطبيقًا. – ص ١.
[٣] عابد السفياني، المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها، المصدر السابق.

فموجة الفكر الاستشراقي والمستشرقين ومجادلتهم لتجريد المسلمين من دينهم والبحث عن القوانين وصيغة توافق قلب وعقل المسلم بدلًا من الرجوع إلى الشريعة الإسلامية. قد أجاد أبو الحسن الندوي في ما اصطلح عليه بـ"الاستراتيجية الدقيقة"، حيث قال: " ومن رأي كثيرٍ من المستشرقين أنهم يعيّنون لأنفسهم غاية، ويقدّرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يجمعون لها المعلومات من كل مصدر — قريبٍ أو بعيد — لا صلة له في كثيرٍ من الأحيان بموضوع البحث، سواء أكان من كتب الديانة، أو التاريخ، أو الأدب، أو الشعر، أو الرواية، أو القصص، أو البحوث، أو الفكاهة. وإن كانت هذه المواد تافهةً لا قيمة لها، فإنهم يقدّمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرياتٍ لا وجود لها في الواقع ولا في نفوس الناس وآذانهم"[١].

ولذلك نرى أن الكثير من المستشرقين خاضوا في موضوعات القرآن الكريم واللغة والسيرة، وقد وقعوا بأخطاء في تقديراتهم أو بالغوا في تصوراتهم إلى حد حرّفوا الحقيقة وتركوا خدوشًا لا تتوافق مع منهجهم العلمي الدقيق. وهذا يتوافق مع رأي المستشرق "هاملتون غب" الذي يرى أن المستشرقين يتناولون الإسلام بعقلية لاهوتية لا علمية، وأنهم يحاولون فهمه من مقاييس المسيحية الغربية"،[٢] وهذا ما جعلهم يميلون إلى التشويه أكثر من الفهم الموضوعي.

إذن، فالاستشراق أخذ حيزًا كبيرًا من أدبائنا العرب، وقد تميز فارس الشدياق بنقده الجدي لهذه الظاهرة، مثل نقده لبعض المستشرقين من أساتذة أوروبا مبينًا خطبهم في تأليفهم وأوهامهم مما عربوه ونشروه.[٣] وفي رده على أحد المستشرقين الفرنسيين الذين لم يذكر أسماءهم، "إن هؤلاء الأساتذة لم يأخذوا العلم ن علماء الشرق، ووصفهم بأنهم تطفلوا عليه، وخاطوا خيوطًا عشوائية وما اشتبه عليه "رقعه من عنده كيف يشاء"، وتهجّم على التراث العربي وحضارته، وأن هذا الفريق الذي يمثّل الأكثرية من المستشرقين.

وفي طرح "مالك بن نبي" (ت ١٩٧٣ م) قال "بأن الغرب كتبوا من أجل مجتمعهم الغربي، ولكن أفكارهم كان لها وقع أكبر في المجتمع الإسلامي" وإن الجيل المسلم الذي انتسب إليه يدين لهؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير العربي والأمة الإسلامية

[١] حسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٤٠.

[2] Gibb, 1947, p. 4

[٣] الشدياق، الواسطة في معرفة أحوال مالطة، ص ١١٢.

أمام الحضارة الغربية. وإن هذه الوسيلة لم تقتصر نتائجها على الأثر المحمود في تطور أفكارنا وثقافتنا، بل كان لها أثر مرضي هو الذي يجب طرحه.[١]

رابعًا: كيف عالج المفكرون العرب مشكلة الاستشراق:

إذن، فالموقف الرافض كان معاديًا لحركة الاستشراق، وعدَّه موقفًا مُشكِلًا، ورأى فيه تحاملًا على الإسلام والمسلمين، وتَهجُّمًا على العرب وتراثهم وحضارتهم.

فمالك **بن نبي** من أوائل المفكرين المحدثين الذين تناولوا مشكلات الحضارة بمنهجية علمية دقيقة، وهو على وجه الخصوص من أوائل المفكرين المسلمين الذين عاصروا عن قرب الحضارتين الغربية والإسلامية، فبحث في أسباب التخلّف وشروط النهضة من جهة، وقارن بين المفاهيم الغربية والإسلامية مثل الديمقراطية والإسلام، والأصالة والعَمَران.

ومن خلال تجربته ومعايشته وتأمّله تأثّر بالثقافة الأوروبية ومفكّريها، إلى جانب تأثّره بالمفكرين المسلمين أمثال ابن خلدون، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، فجمع في تكوينه بين الثقافتين الأوروبية والإسلامية.

ويرى بن نبي أنّ النخبة المسلمة كثيرًا ما تختار الأفكار المميتة من الثقافة الغربية، في حين أنّ هذه الأفكار لا تُمثّل حقيقة الواقع الغربي، لأنّ هذا الواقع لا يخلو من خيارات أخرى، إذ إنّ العالم الثقافي الغربي ليس كلّه مميتًا، فما يزال يُنتج قيَمًا وحضارة تُسهم في تنظيم مصير العالم حتى اليوم.

وفي العودة إلى كتاب "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" لمالك بن نبي، فنجد أنه قد بدأ أولًا بتحديد مصطلح المستشرقين، موضحًا أنهم الكتّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية .ويرى أنه من الضروري تصنيفهم إلى طبقات وفق معيارين أساسيين:

- **من حيث الزمن؛** فيُقسِّمهم إلى طبقة القدماء مثل "جيدو دي بورباك" (Judo de Bourback) والقديس توما الأكويني"(Thomas Aquinas)، وطبقة المحدثين مثل "وجولدزيهر" (Goldziher).

[١] مالك بن نبي، انتاح المستشرقين، ص ٨-٩.

- **ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين**؛ فيُميّز بين طبقة المُنصفين أو المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين والمشوّهين لسمعتها.[١]

وهكذا قسَّم **مالك بن نبي** المستشرقين **من حيث الزمن والاتجاه**، وقد استطاع الباحث **أحمد سمايلوفتش** أن يستقرئ نتائج آراء المفكرين العرب في هذا المجال، فاستخلص النتائج الآتية" إنَّ الاستشراق في المفهوم العلمي هو علمٌ يُعنى بفهم الفكر الإسلامي وحضارته، كما يتجلى في كتابات الكتّاب الغربيين الذين تناولوا هذا المجال، ولهذا فإن دراسة هذا التراث يجب أن تقوم على الأساس المنهجي والترتيب الطبقي اللذين أشار إليهما مالك بن نبي[٢].

ومن هذا المنطلق، تتضح دراسة ورؤية مالك بن نبي للاستشراق، إذ يرى أن المستشرقين القدماء قد أثّروا — ولا يزالون يؤثرون — في مجرى الفكر الغربي، وأن هذا التأثير انعكس بدوره على تصوراتهم حول الإسلام وحضارته.[٣]

ويعتقد مالك بن نبي أن الاهتمام بدراسة الإنتاج الاستشراقي —على اختلاف نوعيه، سواء أكان مديحًا أم نقدًا — كان ضررًا على المجتمع الإسلامي، لأنه أدّى إلى نشوء عقدة الحرمان في التطور العقلي الإسلامي؛ فصورة المديح والإطراء جعلت المسلمين ينصرفون عن واقعهم الحاضر، ويغرقون في نعيمٍ وهمي مستمدٍّ من ماضيهم، أما صورة التحقير والانتقاص فقد أضعفت ثقتهم بأنفسهم حتى أصبحوا في عزلة عن المجتمع الإنساني، بعد أن كانوا يمثلون مجتمع ما بعد الموحِّدين.

ويرى بن نبي أن الواجب يقتضي أن نقف من هذا الاستشراق وقفة بصيرة دون هوادة، وألا نراعي في ذلك إلا الحقيقة الإسلامية، فهي لا تخضع لأي ظرفٍ تاريخي ولا تتنازل أمام ضغطٍ فكري خارجي. ومع ذلك، فإنه يعترف بوجود جانب إيجابي في بعض الدراسات الاستشراقية، غير أنه لا يتمثّل في المديح، بل في **النقد البنّاء**؛ فعندما يقرّ بعض المستشرقين بأنّ للعرب نصيبًا في تشييد صرح العلوم، فإنّ هذا يُعدّ اعترافًا منصفًا بقيمة الإسهام الحضاري الإسلامي.[٤]

[١] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، صـ ١٥–١٧.
[٢] أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، صـ ١١٢–١١٣.
[٣] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديثصـ ٤٢–٤٥.
[٤] جبران لعرج، «الاستشراق في فكر مالك بن نبي من خلال كتابه إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث»، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٢٩، صـ ١٥٥–١٥٦.

لذا وجب لنا أن يوضح لنا هذه النقطة وبين لنا كيف نتخلّص من التبعيه في قوله هذا "يجب أن نضيف له أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسيه، لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولكن يمكن للمجتمع في عهد التشيد أن يشيد بأفكاره المستوردة أو المسلطه عليه من الخارج سواء كانت منتمية إلى الاستشراق أو الشيوعية.[١]

وبالإشارة إلى ما ذكره "عبده عبود" في كتابه "الأدب المقارن"، فإنَّ نقّاد الاستشراق من العرب متفقون على أنَّ الاستشراق نشاطٌ علميٌّ وفكريٌّ مُعادٍ للعرب والمسلمين، فهو — في نظرهم — يهدف إلى الإساءة إلى ثقافتهم ومجتمعاتهم .كما لا يتردد قسم كبير من هؤلاء النقّاد في اعتبار الاستشراق حلقةً من حلقات المؤامرة الغربية الصهيونية.[٢]

لذلك فإنَّ غالبية النقّاد العرب نظروا إلى الاستشراق نظرةَ العدو الحاقد، لأنّ الكتّاب الغربيين الذين تناولوا موضوعاته كانت لديهم خلفياتٌ فكريةٌ وعقائديةٌ دفعتهم إلى محاولاتٍ تستهدف القضاء على الهوية القومية العربية والتشكيك في العقيدة الإسلامية، وغيرها من مقوّمات الأمة.

الخاتمة:

وفي الختام، نرى الاستشراق يُعدّ من أكثر المصطلحات تفصيلًا، كونه يتضمن الموقف التنفيذي والسلطوي للاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ومع ذلك، فإن الكتب لا تزال تُكتب والمؤتمرات تُعقد، ومحرّكها الأساسي هو الشرق.. فالاستشراق، بمعناه الصحيح، هو أسلوب فكري يقوم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، وهو ظاهرة يتعامل بها الغرب عند دراسته لأحوال الشرق، ويتحدد بمقاييسه الاستشراقية، بما يقوله الغرب عن شؤون الشرق. وكان الشرق في الماضي يضم الدول العربية والإسلامية وجنوب شرق آسيا، إضافةً إلى الصين واليابان.

ويُنظر إلى الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه، وبالتالي فإن الحديث عن الاستشراق يعني مناقشة مشروع ثقافي بريطاني وفرنسي نشأ من علاقة تقارب خاصة قامت بين بريطانيا وفرنسا والشرق. فبعبارة أخرى، فإن الاستشراق هو وسيلة من وسائل سيطرة الغرب علينا، وثمرة من ثمرات المؤامرة الغربية على العالم الشرقي.

[١] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، صـ ٨٧.
[٢] عبده عبود، الأدب المقارن: النظرية والتطبيق، صـ ٢١٥.

يستطيع الاستشراق أيضًا التعبير عن قوة الغرب، وضعف الشرق – كما يراها الغرب– وهذه القوة وهذا الضعف قائمان في صميم الاستشراق كما يقومان أية نظرة تقسم العالم إلى اجزاء كبيرة وعامة، وإلى ذوات تتعايش في حالة من التوتر يولده ما يعتقدونه فرق جذري بين الشرق والغرب. ومن هنا فالاستشراق لا يمكن حصره في تعريف بانه ظاهره تاريخيه ومنهج في الفكر ومشكله معاصرة، و واقع مادي، فقد تشعبت اهواؤه وميوله واتجاهاته في عالمنا الشرقي. فهذه الظاهرة تعكس طرائق التناول الغربي للثقافة العربية الإسلامية ماضيًا وحاضرًا. فقد تحول إلى شيء من الحمى، ومن ثم فأن فعل الاستشراق أيقظ حميه المفكرين والمثقفين الشرقيين وكان كرد فعل دفاعي إرادي لهذه الظاهرة .

قائمة المصادر والمراجع:

١. أبو القاسم سعدالله. في الجدل الثقافي: آراء ومناقشات لقضايا فكرية وثقافية وأدبية. تونس: دار المعارف، ١٩٩٣.

٢. عبد الجليل عبدة شلبي. صور استشراقية. الكتاب الأول، سلسلة البحوث الإسلامية، ١٩٧٨.

٣. عبد الله محمد الأمين. الاستشراق في السيرة النبوية. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧.

٤. عبده عبود. الأدب المقارن: النظرية والتطبيق. بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣.

٥. علي بن إبراهيم النملة. مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء المواقف. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٣.

٦. جبران لعرج. «الاستشراق في فكر مالك بن نبي من خلال كتابه إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث». مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٢٩، جامعة سطيف، ٢٠١٨م.

٧. شاخت، جوزيف؛ بوزورث، كليفورد. تراث الإسلام. ترجمة: محمد زهير المهوري، حسن مؤنس، إحسان صدقي، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى، مراجعة: فؤاد زكريا. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٧٨.

٨. الطبراني. المعجم الكبير. ج ١٧.

٩. الندوي، أ. ح. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. القاهرة: دار المعرفة، ١٩٥٠م.

١٠. الشدياق. الواسطة في معرفة أحوال مالطة.

١١. محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري. القاهرة: دار المعارف، (د.ط.).

١٢. مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

١٣. منذر معاليقي. الاستشراق في الميزان. بيروت، دمشق، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٧.

١٤. عابد بن محمد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها: دراسة وتطبيقًا. مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ.

15. Gibb, H. A. R. Arabic Literature: An Historical Survey, 1947.